

الرضاعة..

آية من آيات الخالق وهديته الكبرى

إلى الأم ورضيعها

د. حسن حطيط(*)

مقدمة

تعتبر خصائص الرضاعة الطبيعية المتنوعة وميزات حليب الأم العديدة واحدة من أهم معجزات الخلق على الإطلاق، وأعظمها تجلياً عبر العصور، فبالرغم من التقدم المتسارع في العلوم الصناعية والطبية، فإنه لم تظهر أية بدائل مماثلة أو حتى متقاربة في مستوى الجودة والنوعية، وفي فريدة النتائج والفعالية.

آثار الرضاعة الطبيعية على صحة الأم

كثرت الدراسات النفسية والطبية التي تناولت آثار الرضاعة الطبيعية على صحة المرأة المرضعة، النفسية منها والجسدية، على عدة صعد وبعده أشكال.

أما الدراسات النفسية فلقد تناولت حالات الاسترخاء العصبي والشعور بالنشوة والهناء والسعادة والراحة الجسدية العارمة التي تعيشها المرضعة خلال عملية الرضاعة. كما تناولت حالات التقارب المتبادل والحنان الفياض والترابط العضوي – النفسي بين الأم ووليدها الملتصق بكيانها النفسي والجسدي بكل مشاعره وجوارحه. من جهة أخرى، تناولت الدراسات الطبية بشكل خاص، دور الرضاعة الطبيعية في التغيرات والتحويلات الجسدية التي تعيشها المرضعة خلال فترة الرضاعة وبعدها، وخاصة فيما يتعلق بإفراز هرمون البرولاكتين الذي يعمل كعامل منع طبيعي عبر نزول البويضة وتأخير العادة الشهرية، ما يؤدي إلى إعطاء الأم راحة واستقراراً

(*) كاتب وطبيب لبناني، استشاري أمراض الأنسجة والخلايا.

جسدياً وتفرغاً كاملاً لمهمتها الموكولة بها. ولقد تناولت بعض الأبحاث أيضاً دور الرضاعة الطبيعية في إعادة الرحم وملحقاته إلى حالته الأولى قبل الحمل، ودورها في المساهمة بشكل فعال في سحب الدهون التي يختزنها الجسم خلال فترة الحمل، واستعادة المرأة لرشاقتها ونشاطها الطبيعي.

أما أهم الدراسات الطبية على الإطلاق فهي التي تعرضت إلى موضوع العلاقة بين الرضاعة الطبيعية وتدني الإصابة بسرطان الثدي، حيث تبين أن كل سنة إرضاع تمضيها الأم مع رضيعها تقلل من نسبة إصابتها بسرطان الثدي بنحو ٤,٣%، هذا بالإضافة إلى زيادة ٧%، وهي النسبة المتمثلة بمعدل تراجع التعرض لسرطان الثدي عند كل أم ولكل طفل تتجبه.

كما ثبت بالمقابل أن نسبة سرطان الثدي تزداد في الحالات التي تتجيب فيها المرأة عدداً أقل من الأطفال، وتقوم بإرضاعهم لفترات قصيرة.

وهكذا يتبين أن الأمهات يمكن أن يتجنبن الكثير من المشاكل الصحية وخاصة سرطان الثدي، إذا قمن بإطالة مدة الإرضاع، على عكس ما هو شائع حالياً من تقصير وتحديد لهذه المدة.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ [البقرة: ٢٣٣].

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك وإليّ المصير﴾ [لقمان: ١٤].

آثار الرضاعة الطبيعية على صحة الطفل الرضيع:

تقول إحدى الوثائق الصادرة عن منظمة الصحة العالمية: "ليس هناك شيء يماثل حليب ثدي الأم في توفير الغذاء الأفضل والأنسب للطفل الرضيع، وأن حليب الأم فيه من الفوائد الإضافية التي تقوي الجهاز المناعي للرضيع ضد العديد من الأمراض التي يصاب بها الأطفال، وهو نظيف وآمن، ويكون في درجة حرارية مناسبة وغير مكلف، وكل الأمهات تقريباً لديهن ما هو أكثر من كاف لإرضاع أطفالهن".

أما مجلس الصحة العالمي التابع لمنظمة الصحة العالمية، فقد أقرّ مؤخراً قراراً يقضي برفع "الفترة النموذجية الدنيا" للرضاعة الطبيعية دون أي مصدر غذائي آخر من أربعة أشهر كما كان في السابق، إلى ستة أشهر على الأقل.

كما أكدت الدراسات الطبية الحديثة التي اعتمدت على الإحصائيات "المسحية" في الدول النامية على أن الأطفال الذين يتناولون الحليب الصناعي يتعرضون للأمراض ويصابون بالوفاة بفارق ١٥ ضعفاً مقارنة بالأطفال الذين تغذوا على حليب أمهاتهم في أول عامين من حياتهم.

أما أهم آثار الرضاعة الطبيعية على صحة الطفل الرضيع، والتي لا يحصل عليها بشكل كامل وفعال عبر البدائل الحيوانية والصناعية، فتتلخص بالمحاور العامة التالية:

- اكتساب القدرة على هضم الغذاء بسهولة، وبشكل يتناسب مع النمو ومع الاحتياجات المتغيرة.

- اكتساب القدرة على امتصاص المعادن والأحماض وغيرها من المواد الأساسية بشكل يتناسب مع حاجة الطفل وسرعة نموه.

- اكتساب القدرة على مقاومة الفطريات والباكتيريا والفيروسات.
- الوقاية من أمراض الحساسية كالربو والأكزيما وأمراض أخرى كالسكري.
- ولقد ظهرت في المدة الأخيرة دراسات طبية جديدة كشفت عن وجود ميزات للرضاعة الطبيعية لم تكن معروفة من قبل، وأهمها:
- الرضاعة الطبيعية تساعد على نمو أنسجة المخ والشبكية وتطورها بسبب وجود نوع من الأحماض الدهنية غير المشبعة.
- الرضاعة الطبيعية تزيد معدل الذكاء والكثير من الوظائف الحيوية.

- الرضاعة الطبيعية تساعد على نمو العظام والأسنان وكريات الدم الحمراء.
- الرضاعة الطبيعية تساعد على منع انتقال مرض الإيدز من الأم إلى الطفل كما أنها تساعد على مقاومة العدوى إزاء الكثير من الأمراض الجرثومية.
- الرضاعة الطبيعية تحمي الطفل من التعرض لمخاطر ارتفاع ضغط الدم.
- وهكذا يتبين أن الرضاعة الطبيعية كانت وستبقى هدية سماوية خالصة تتكشف معالمها وآثارها يوماً بعد يوم، على صعيد صحة الأم وصحة الطفل على السواء.
- وستظهر بالتأكيد علامات جديدة تواكب تطور العلوم وتقدمها عبر الزمن، ليتعرف الإنسان على عظمة وإعجاز الآية الباهرة من آيات الخالق. كما ستتجلى جميع جوانب المهمة العظيمة التي أوكلت إلى الأم وتحملتها "حماً" و"ضعاً" و"إرضاعاً" بالرغم من الوهن والتعب والألام والمكاره لتعطي جنينها ووليدها ورضيعها، بنعمة من الله جلّ وعلا وببركته، كل الحب والرعاية والعطف والحنان.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾ [لقمان: ١٤].

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾ [الأحقاف: ١٥].

